هل تقع المواجهة بين العراق وتركيا؟

■ حميدي العبدالله

لا شك في أنّ المواجهة السياسية بين الحكومة العراقية، وبالتالي العراق، باستثناء إقليم كردستان، وتركيا، هي قائمة منذ أن سيطر «داعش» على محافظة نينوى بدعم وتواطؤ الحكومة التركية. ولكن هذه المواجهة ظلت في إطار المواجهة السياسية، ولا سيما عبر وقوف تركيا إلى جانب بعض الأطراف العراقية، ومنها أطراف تمثل جزءاً من الحكومة.

لكن في الآونة الأخيرة تلوح في الأفق نذر مواجهة أخرى، حول توسّع الوجود العسكري التركي في محافظة نينوى، بعد أن أكدت كلّ أطراف الحكومة العراقية، بما في ذلك وزير الدفاع المحسوب على القوى السياسية المؤيدة لتركيا، رفضها لهذا الوجود، الأمر الذي يشير إلى أنّ الحكومة العراقية مجتمعة تتجه إلى خوض مواجهة مع تركيا، أولاً من أجل إقناعها بسحب قواتها عبر الوسائل الدبلوماسية والسياسية، من خلال الاتصالات الثنائية، ومن خلال وساطة أميركية، وعبر مجلس الأمن حيث بادرت روسيا إلى طرح هذه المسألة على المجلس.

إذا لم تنجح كلّ هذه الجهود في تسوية القضية، وإقناع تركيا بسحب جنودها من المنطقة التي دخلوا إليها، فإنّ احتمال تطوّر المواجهة، من مواجهة سياسية دبلوماسية إلى مواجهة عسكرية، هو أمر محتمل، وإذا ما حصل مثل هذا التطوّر فستكون له تداعيات كبيرة ليس فقط على العلاقات التركية – العراقية، بل وأيضاً على علاقات كلّ من أنقرة وبغداد مع الولايات المتحدة.

واشنطن تقدّم أنفسها كحليف وصديق للعراق ولتركيا، ولكن عندما يقع الصدام بين هذين البلدين فإنّ عليها الاختيار، إما الوقوف إلى جانب العراق، وبالتالي خسارة تركيا، وإما الوقوف إلى جانب تركيا، ومن ثم خسارة العراق، ولا يبدو أنّ ثمة مخرجاً آخر إذا ما فشلت الجهود السياسية والدبلوماسية بإيجاد حلّ لهذه المسألة.

لا شك أنّ هذا التدهور الجديد في علاقات تركيا مع العراق سيزيد المصاعب التي تربك الاستراتيجية الأميركية في العراق وسورية وتؤثر على خططها المستقبلية، فمن المعروف أنّ واشنطن تواجه في سورية معضلة مماثلة، فهي ترغب بالتعاون بقوة مع أكراد سورية في مواجهة «داعش» لتفعيل استراتيجيتها وإضعاف المصداقية عليها، ولكن من جهة أخرى تصطدم برفض تركيا سيطرة وحدات الحماية الشعبية على المناطق التي يمثل الأكراد فيها الغالبية داخل سورية بالقرب من الحدود التركية.

وهذا الخلاف أربك عملياً الاستراتيجية الأميركية في سورية، وتدهور العلاقات التركية – العراقية سوف يربك بدوره أيضاً هذه الاستراتيجية في توقيت لا يعمل في مصلحة الولايات وحلفائها في سورية والعراق.

من السوريين إلى الرياض «رفقاً بما تبقى من سوريتكم»...

■ سعدالله الخليل

حسناً فعلت موسكو حين قبلت وسهّلت منح السعودية مهمة تشكيل وفد المعارضة السورية إلى الجولة المقبلة من مباحثات فيينا، والتي رحّلت إلى نيويورك، فالوفد الذي من المفترض أن يكون وازناً وشاملاً لكل أطياف المعارضة السورية فهمت السعودية بأنّ اختياره سيتمّ من بين المشاركين في لقاء الرياض الذين تمّ استدعاؤهم من دول الشرق والغرب وفق مقاييسها «الديمقراطية والعلمانية والسياسية»، واستثنت من لا يحققون الشروط المطلوبة للدخول إلى نادي المعارضين السوريين.

ولتسهيل مهمة المجتمعين استبعدت الرياض كلّ من يدّعي الديمقراطية والتعدّدية ولو بالشعارات والعناوين العريضة، فهم بنظرها كفار وزنادقة، كما رفضت الاعتراف بالأحزاب والهيئات الكردية فهم دعاة مشاريع تقسيمية قومية لا تصلح كنموذج يُحتذى في الديمقراطية، كما أنّ مشاركة المرأة في القتال إلى جانب الرجل لا ترقى إلى مستوى «جهاد النكاح» السعودي، فضربت عصفورين بحجر... أقصت الأكراد وتفادت إغضاب السلطان العثماني وإحراج رئيس الائتلاف «الإخواني» خالد الخوجة مع سلطات بلاده في أنقرة بالتنسيق مع الأكراد.

استبَقت الرياض اجتماع المعارضة السورية بحركتين ديمقراطيتين حتى النخاع الأولى بإعلان مشاركة المرأة السعودية ولأول مرة في الترشح والتصويت في انتخابات المجالس المحلية مع بعض التحفظات، حرصاً على سلامتها كمنعها من الحملات الانتخابية وللحفاظ على خصوصيتها منعتها السلطات من الاختلاط بأعضاء المجلس من الذكور وفصلت بين الطرفين بستار شرعي، وكأنّ النقاب من الرأس إلى أخمص القدمين عورة يتوجب إخفاؤها، فيما تجلت الخطوة الديمقراطية الثانية بالحكم بالإعدام على الشاعر الفلسطيني أشرف فياض بعد استئناف حكم سابق يقضي بسجنه اربعة سنوات وجلده 800 جلدة بتهمة الترويج لأفكار إلحادية وسبّ الذات الإلهية والمملكة لإصداره ديواناً بعنوان «التعليمات بالداخل»، ولم تقصّر المملكة بإكرام ضيوفها الباحثين عن الديمقراطية، فابتهاجاً بقدومهم قتلت سلطات آل سعود عدداً من الموقوفين اليمنيّين في سجن الترحيلات في الرياض في خطوة غاية بالديمقراطية.

حسناً فعل هيثم مناع حين رفض المشاركة في مهزلة باسم السوريين يجتمع فيها ثلة من «الإخوان المسلمين» وجماعات إرهابية على شاكلة «أحرار الشام» و«جيش الإسلام» لتبييض صفحتها...

فخلال يومين وبمباركة جورج صبرا وخطيب بدلة، وهما الشيوعيان المسيحي والمسلم، والفاتنة بسمة قضماني، ترغب السعودية بتحويل زهران علوش من قاتل الدمشقيين بقذائف الهاون في أبسط مجازره إلى معارض ديمقراطي، وربما يتحوّل فصيله من جيش الإسلام إلى المنبر الديمقراطي العلماني السوري ويحاضر بالتعدّدية والماركسية.

يدرك المجتمعون في السعودية أنّ البحث عن سورية التعددية والديمقراطية التي ينشدها السوريون عبر عملية سياسية بعيدة كلّ البعد عن البحث في أروقة المملكة الساعية لإنتاج طائف سوري يُصنّع عبر الاجتماع بشخصية سورية مشابهة لرفيق الحريري من بين الشخصيات المتواجدة في قاعة الاجتماع لأنّ فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وليس لديهم أدنى شك بأنّ اجتماعهم كزجاجات الماء التي أمامهم لا طعم ولا لون ولا رائحة، كما أنّ ما تبقى من ذكائهم السوري الفطري يجعلهم على يقين بأنّ عليهم أن يكسبوا ما أمكن من زيارتهم للمملكة من مال وسلاح وموقع كل حسب ما يبتغي، أما مصير السوريين ومستقبل سورية الموغلة في الحضارة والتعدّدية والديمقراطية فهم على قناعة بأنهم لم ولن يستطيعوا تحديده لأنهم والمملكة أعجز من هكذا دور.

من السوريين إلى المجتمعين والمجموعين في الرياض رسالة «رفقاً بما تبقى من سوريتكم أوقفوا هذه المهزلة يكفيكم إساءة لاسم وتاريخ وحاضر ومستقبل سورية».

«توب نيوز»

اليمن نحو التسوية؟

- بعد أسبوع يدخل وقف إطلاق النار في اليمن حيز التنفيذ.
- يشمل وقف النار فتح الطرق ووقف غارات التحالف الذي تقوده السعودية وفك الحصار البحري عن السفن التجارية، خصوصاً للمؤن والوقود والإغاثة، وهو ما كان يرفضه السعوديون كلّ مرة ويتسبّب بفشل الإتفاق.
- يشمل الاتفاق وقف التوغل الذي يقوم به الجيش اليمني ومقاتلو اللجان الشعبية داخل الحدود السعودية، والتوقف عن إطلاق القذائف والصواريخ على المواقع السعودية.
- التوازن الذي خلقه الجيش اليمني واللجان الشعبية تمثل بوضع معادلة الغارات السعودية مقابل الضغط عبر الحدود السعودية.
- المفاوضات التي ستدور في جنيف منتصف هذا الشهر حول الملف السياسي متفق عليها أصلاً منذ الصيف، وكانت العقدة بقبول السعودية لمبدأ ترك الفرصة للحلّ السياسي بعد بلوغ اليأس من نصر عسكري حاسم، وقبول وقف الغارات قبل بدء المفاوضات.
- الموافقة السعودية هذه المرة تعني بلوغ السعوديين المرحلة التي تعطي هذا التفاوض ووقف النار معه فرص الحياة.
- تزامن ذلك مع تعيين وزير جديد للخارجية في حكومة منصور هادي هو رئيس الوفد المفاوض.

اليمن نحو التسوية.

التعليق السياسي

الولايات المتحدة وإرهاب الدولة - علاقة قديمة

■ رضا حرب*

قليلون الذين سمعوا عن المذكرة السرية «التبرير للتدخل العسكري الأميركي في كوبا» والمعروفة بالاسم الرمزي «نورث وودز» التي وضع البنتاغون وقيادة الأركان المشتركة خطوطها العريضة عام 1962 لتبرير الحرب على كوبا. تشمل الخطة أعمالاً «شيطانية» بكل ما للكلمة من معنى. الخطة بما تشمله من عمليات قتل وإرهاب وكذب على الرأي العام لتضليله تؤكد ما قاله البروفسور ميشال تشوسودوفسكي «العقيدة العسكرية الأميركية التي تنصّ على الدور المركزي للضحية في إنتاج الأحداث المأساوية لتبرير أعمال عسكرية تبدو في الظاهر إنسانية».

في أوائل الستينات من القرن الماضي، بعد الهزيمة التي تعرّض لها المرتزقة الكوبيون في خليج الخنازير، انكبّ كبار القادة العسكريين في الولايات المتحدة على صياغة برنامج لسلسلة من الأعمال الإرهابية وتنفيذ عمليات اغتيال لمدنيين في مدن الولايات المتحدة. وضع عسكريو البنتاغون وهيئة الأركان المشتركة المذكرة المعروفة باسم «التبرير للتدخل العسكري الأميركي في كوبا»، ووقع عليها رئيس الأركان المشتركة الجنرال ليمان ال. ليمنيتزر. المذكرة السرية المكوّنة من 97 صفحة تشرح بالتفصيل مخطط الولايات المتحدة لهندسة ذرائع مختلفة تبرّر غزو الولايات المتحدة لكوبا.

تدعو المذكرة المخابرات المركزية «سي أي آي» وعملاء حكوميين آخرين للقيام بأعمال إرهابية داخل الولايات المتحدة وخارجها، على البرّ وفي البحر والجوّ، تشمل قتل مدنيين كوبيين والقيام بعمليات اغتيال لشخصيات كوبية صديقة للولايات المتحدة وتفجيرات وخطف في فلوريدا وإغراق قوارب اللاجئين الكوبيين في عرض البحر، ثم تقديم أدلة وهمية تدين نظام فيدل كاسترو.

وإلى جانب اغتيال مدنيين كوبيين تشير الوثيقة الى قتل أميركيين، وخطف الطائرات وتدمير قوارب وسفن أميركية والقيام بعمليات إرهابية عنيفة ووهمية في المدن الأميركية في فلوريدا وحتى في واشنطن. الهدف من هذه الخطة الشريرة إلقاء اللوم على نظام فيدل كاسترو لإثارة الرأي العام الأميركي حتى يتقبّل فكرة غزو عسكري أميركي لكوبا.

كما تشير المذكرة الى خطة تعطيل مرافق الاتصالات في كوبا – التجارية والعسكرية، وخلق اضطرابات وحالة شقاق في المجتمع الكوبي. وتشير المذكرة الى الوسائل والأدوات والجهات التي سوف تقوم بتنفيذ العمليات السرية.

وتشير المذكرة الى سلسلة من الحوادث في خليج غوانتانامو حيث القاعدة العسكرية الأميركية والهجمات المنسقة تنسيقاً دقيقاً لتكتسب الحملة المصداقية المطلوبة كما جاء في الفقرة أ.

1 ـ نشر الكثير من الإشاعات، استخدام محطة راديو سرية.

2. أصدقاء كوبيون باللباس العسكري يتجاوزون السياج لتنفيذ هجمات على القاعدة.

3 ـ إلقاء القبض على مخرّبين (اصدقاء) داخل القاعدة.

4 ـ بدء عمليات شغب قرب البوابة الرئيسية للقاعدة يقوم بها أصدقاء كوبيون.

5 ـ تفجير ذخيرة داخل القاعدة: تشعل حرائق.

6 ـ إحراق طائرة على أرض القاعدة العسكرية (عمل تخريبي).

7 ـ إطلاق قذائف هاون على القاعدة من خارجها.

8 ـ القبض على فرق من مهاجمة تقترب من البحر من مدينة غوانتانامو.

9 ـ إلقاء القبض على ميليشيا تقتحم القاعدة.

10 ـ تخريب سفينة في الميناء. حرائق كبيرة – النفثالين.

11 ـ إغراق سفينة قرب مدخل الميناء، إقامة جنازات لضحايا وهميّين.

ومن ضمن المخططات الشيطانية، تتطرّق المذكرة الى امكانية عمل سيناريو يعرض بشكل مقنع بأنّ الطيران الكوبي أسقط طائرة مدنية مستأجرة أقلعت من الولايات المتحدة وعلى متنها طلاب جامعيون يقومون في رحلة لقضاء الإجازة. الوجهة يجب ان تمرّ فوق كوبا.

في القاعدة الجوية «إغلين اي اف بي» يتمّ طلاء طائرة حتى تكون نسخة عن طائرة مدنية مسجلة تكون ملكاً لمؤسسة تابعة لـ«سي أي آي» في منطقة ميامي. في الوقت المحدّد سيتمّ استبدالها بالطائرة المدنية الفعلية وعلى متنها مسافرون بأسماء مستعارة يتمّ اختيارهم بعناية. الطائرة الفعلية تتحوّل الى طائرة بدون طيار.

سيتمّ تحديد موعد الطائرة بدون طيار والطائرة الفعلية بالتحليق جنوب فلوريدا، ومن تلك النقطة تبدأ الطائرة الفعلية المحمّلة بالركاب الهبوط التدريجي الى أدنى ارتفاع وتعود مباشرة الى القاعدة «انغلين» لإنزال الركاب وتتمّ اعادتها الى حالتها الأصلية. الطائرة بدون طيار تستمرّ بالطيران. عندما تصل الى الأجواء الكوبية تبدأ بإرسال نداءات استغاثة تقول انّ الطائرة تتعرّض لهجوم من قبل طائرات «ميغ» كوبية. البث سيتوقف عندما يتمّ تفجير الطائرة بواسطة إشارات الراديو.

اللافت انّ المذكرة تشير إلى حادثة سفينة «ماين» الأميركية الشهيرة بعبارة «تذكروا ماين». ترتيب عملية مشابهة لحادثة إغراق السفينة «ماين» في خليج غوانتانامو وتوجيه اللوم إلى كوبا، «يمكننا تفجير سفينة أميركية في خليج غوانتانامو وإلقاء اللوم على كوبا، ونشر أسماء الضحايا في الصحف الأميركية سيسبّب موجة من السخط الوطني».

كالعادة تقوم الصحافة الأميركية بحملة إعلامية واسعة الهدف منها إثارة السخط لدى الرأي العام الأميركي لتبرير أجندة عسكرية تبدو في ظاهرها إنسانية. كانت المذكرة وسيلة لخداع الرأي العام الأميركي والمجتمع الدولي لدعم حرب للإطاحة بالزعيم الكوبي الجديد.

لا بدّ من الإشارة هنا الى انّ السفينة العسكرية «ماين» التي أُغرقت في المياه الاقليمية الكوبية عام 1898 واستباقاً لأيّ تحقيق لمعرفة أسباب الانفجار الذي قتل ثلاثة أرباع طاقم السفينة، وجهت الولايات المتحدة الاتهام لأسبانيا، وقام وليام راندولف هيرست وجوزيف بوليتزر رواد الصحافة الصفراء بكتابة مقالات أشعلت العداء لأسبانيا... «تذكروا ماين، وأسبانيا الى الجحيم»، وعلى اثرها اندلعت الحرب الأميركية ـ الأسبانية.

ووفقاً للمذكرة السرية التي كُشف عنها عام 2001، القيام بسلسلة من العمليات مجموعها 12 عملية، منها عملية «التحطيم»، وعملية «الرحلة المجانية»، وعملية «تغيير الاتجاه»، وعملية «الشبح»، وعملية «الخدعة القذرة». كلّ واحدة من هذه العمليات لها رجالها وأدواتها وضحاياها وأهدافها.

يبدو من المقترحات انّ عملية «نورث وودز» تستكمل العمليات التي جاءت عام 1961 في «مشروع كوبا» والمعروف ايضاً باسم «عملية النمس Operation Mongoose» التي ترأسها الجنرال ادوارد لانزديل رئيس «عمليات مشروع كوبا» بالتنسيق مع المخابرات المركزية ممثلة بـ«وليام كينغ هارفي» التي تشمل مهاجمة مرافق أميركية في كوبا.

«نورث وودز» في سورية

بعد مرور خمسين سنة بالضبط على صدور المذكرة «التبرير للتدخل العسكري الأميركي في كوبا» وقعت أحداث درعا السورية، عام 2011 عندما تعرّض مدنيون لعمليات قتل قام بها قناصة مجهولون. وظف المناهضون لسورية ولمواقف سورية تكنولوجيا وسائل التجسّس والاتصالات ووسائل الإعلام الصفراء والخبرات المكتسبة في العمليات القذرة لتلفيق اتهامات لم تثبت صحتها.

قامت مجموعة من المتظاهرين بتدمير وسائل الاتصالات في المدينة، وظهرت أجهزة هواتف الثريا للاتصال بقناتي «الجزيرة» و«العربية» وغيرهما من محطات «الكذب»، وقام قناصة بإطلاق النار على المتظاهرين ثم اختفوا، على الأرجح اندسّوا بين المتظاهرين، رغم التناقض في روايات شهود العيان إلا انّ التهمة للدولة السورية كانت جاهزة وبدأ الإعلام الغربي والعربي حملة مبرمجة ومجهّزة مسبقاً لإثارة سخط الرأي العام العربي والغربي ضدّ الدولة السورية والرئيس بشار الأسد.

على اثر تلك التظاهرات صدر موقف من مقرّ الناتو في بروكسل يقول بأنّ الناتو والقيادة التركية العليا يضعون خططاً لتسليح «المتمرّدين» بأسلحة متطوّرة ضدّ المدرّعات وطائرات الهليكوبتر. كما ناقشت تلك الجهات تجنيد الآلاف من الإسلاميين من بلدان الشرق الاوسط والعالم لقتال الدولة السورية، ويعمل الجيش التركي على إيواء المقاتلين وتدريبهم وتسليحهم وتأمين عبورهم الى سورية.

وبعد عام من مجزرة درعا وقعت مجزرة الحولة المروّعة، ومرة اخرى استباقاً لأيّ تحقيق وُجّهت إصابع الاتهام إلى القوات السورية في عملية مجهّزة مسبقاً لإثارة السخط العالمي على الرئيس بشار الأسد. وصلت الوقاحة ببعض وسائل الإعلام الى استخدام صور لمجزرة العامرية في العراق على انها للحولة.

وبعد مرور سنة أخرى، تمّ استخدام السلاح الكيماوي في الغوطة الشرقية. مرة ثالثة واستباقاً لأيّ تحقيق تمّ توجيه الاتهام للدولة السورية. اللافت في الأمر قيام حملة إعلامية غير مسبوقة في ايّ إعلام أصفر لإثارة سخط شعبي ودولي ضدّ سورية مما دفع عدة دولاً عديدة إلى قطع علاقتها الدبلوماسية مع سورية، وتقدّمت الصفوف دول عربية و«إسرائيل» تحرّض الرئيس أوباما للقيام بعمل عسكري على أساس «أنّ الرئيس الاسد تخطى الخطوط الحمراء التي وضعها أوباما نفسه». عزل سورية دولياً وعربياً (استخدام الجامعة العربية كمنصّة) كان عملاً منظماً وممنهجاً. ظهرت مؤشرات حقيقية على انّ اوباما سيهاجم سورية، إلا انّ التحرك الروسي السريع وتجهيز الدرع الصاروخية والتهديد الإيراني بحرب شاملة واعتراض عدد كبير من جنرالات البنتاغون، أدّى الى تراجع أوباما وقبول التسوية التي طرحها الروسي.

أوفدت الامم المتحدة القاضية السويسرية كارلا ديل بونتي، وبعد إجراء التحقيقات اللازمة كشفت انّ الإرهابيين هم من استخدموا السلاح الكيماوي في الغوطة الشرقية، تمّ إنهاء عمل القاضية ديل بونتي واستمرّت عملية التحريض ضدّ سورية. ولاحقاً برزت حقائق جديدة حول من قام بتزويد الإرهابيين بالغازات السامة وأدلة تثبت انّ تركيا سهّلت إدخالهم الى سورية، الاانّ الصحافة الصفراء العربية والغربية لم تتوقف عن الكذب لخداع الرأي العام.

ما حدث في سورية جاء بالتفصيل في مذكرة «عملية نورث وودز»، تقوم أجهزة مخابرات بتنفيذ عمليات القتل وتلفيق التهمة للجيش السوري لإحداث شقاق طائفي ومذهبي وإثارة الرأي العام العربي والغربي لتبرير عمل عسكري ضدّ سورية. طالما هناك حاقدون وهناك أناس يبيعون أنفسهم وهناك أغبياء يصدّقون الاتهامات الملفقة، لن تتوقف الولايات المتحدة عن الكذب على شعوب العالم لتبرير برامجها السرية.

الهجمات الإرهابية مساء الجمعة 13 تشرين الثاني 2015 قام بها إرهابيون كانت المخابرات الفرنسية تعرفهم جيداً وتعرف توجهاتهم وانتماءاتهم وتتابع تحركاتهم. شيء مريب ان يهاجموا ستة مواقع في آن واحد. الحلقة المفقودة يمكن ان تكشف تورّط أجهزة مخابرات. هل الهجمات مبرّر لتحوّل في السياسة الغربية تجاه سورية؟ الأسابيع أو الأشهر المقبلة كفيلة بذلك...

*المركز الدولي للدراسات الامنية والجيوسياسية
www.cgsgs.com

الانتفاضة تعانق السماء بتضحياتها وعنفوان الشباب

■ عباس الجمعة*

جيل كامل من الشباب الفلسطيني الذي قاد انتفاضة الحجارة، وأشعل نارها لتحرق الاحتلال، جيل حمل مشاعل النضال، ليخرج منه ذلك الجيل من المناضلين، حيث تشكلت صورة انتصار المناضل الفلسطيني على القيد والقهر والحرمان، جيل رسم حلم كلّ المحرومين بلون ورائحة فلسطين، ليبدأ مشوار النضال الآخر في بناء ذاته وإثبات صورة الفلسطيني الذي يعشق الحرية ولا يتخذ الكفاح إلا وسيلة للتحرّر والعيش بدولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة بعاصمتها القدس.

بعد ثمانية وعشرين عاماً على الانتفاضة الاولى، نهض جيل الشابات والشباب بعد اوسلو ليكتب واقعا جديدا على درب النضال، وصولاً إلى الجلجلة حيث يواصل تقديم قوافل الشهداء والأسرى والجرحى في معركة الحرية والاستقلال والعودة (أيقونة النضال وثالوث الحقوق المقدس) من اجل تحرير الارض والانسان، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس، وعودة اللاجئين إلى ديارهم التي هجّروا منها عام 1948.

نعم الشعب الفلسطيني يخوض الانتفاضة تلو الأخرى حتى تعانق السماء بتضحياتها وعنفوان الشباب الذين يتقدّمون الصفوف، وباتساعها ووصول شرارتها وأعمالها الكفاحية الى كلّ أرجاء فلسطين، وبإسناد مواقع اللجوء والشتات، وهو يرسم بدماء الشهداء حدود الوطن تعبيراً عن وحدة الأرض والشعب والمصير والحقوق.

لهذا تشير البوصلة الفلسطينية انّ تسارع الأحداث والمواجهات اليومية تحتاج إلى إسناد عربي، لتكون قابلة للديمومة والاستمرار، ومن البديهي أن يكون دعم الاقتصاد الفلسطيني على سلم أولويات العرب، صحيح أنّ العرب هم طرف أساسي في هذا الاشتباك ضدّ الصهاينة، لكن بوصلتهم تتجه إلى إحناء الجباه لأفكار أميركا.

أمام كل ذلك فإن الانتفاضة تستمرّ ومعها كلّ الشعوب العربية وأحزابها التقدمية والقومية وأحرار العالم، حيث توجه الرسائل للجميع أنّ خيار أوسلو انتهى، وأنّ المفاوضات ولّت الى غير رجعة لأنها خيار مدمّر، وانّ المقاومة هي الجزء الأكثر عافية في الجسم الفلسطيني، لأنّ الفلسطيني قد عرف على أيّ كتف يسند رأسه، وعلى أيّ منبر يعلن خطابه النضالي سلماً أو مقاومة، لأنّ الطقس العربي اليوم يمرّ بالمجهول، ما دام العرب قد أخرجوا من رؤوسهم الاشتباك المسلح مع العدو الصهيوني، فإنّ هناك خياراً لتحقيق المسار الفلسطيني نحو العودة والتحرير، هو فك الروابط الاقتصادية مع العدو الصهيوني وأن يخلو محلها بروابط متكافئة وقائمة على العدل مع الدول العربية وغيرها من دول العالم.

في ضوء ما تقدم، يمكن القول إنه لم يعد أحد يجهل مدى التزام الإدارة الأميركية بالانحياز التامّ الكيان «الاسرائيلي، ودعم التنظيمات الإرهابية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، عبر وكلائها في المنطقة، وبطبيعة الحال فإنّ الواقع يثبت هذه الحقائق، وكعادتها في عدم الالتزام بقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وتجاهلها لحقوق الشعب الفلسطيني.

لهذا نقول انّ مراوغة الإدارة الأميركية واتخاذها المواقف المتناقضة، وتوزيع الأدوار على مسؤوليها وإطلاق التصريحات المتباينة في محاولة بالغة الغباء لاستغباء الدول والحكومات والشعوب التي باتت متيقنة من أبعاد ومرامي السياسة العامة للولايات المتحدة الأميركية تجاه القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني وشعوب العالم كافة.

في ظلّ كلّ ذلك فإنّ الانتفاضة الشعبية اليوم تشكل فرصة ذهبية للقطع مع رهان المفاوضات والانقسام اللذين ألحقا ضررًا بصورة ونضالات شعبنا وحقوقه، وتضع الجميع أمام مسؤولياتهم الوطنية للخروج من الواقع المرير الذي عشناه منذ أكثرّ من عقدين من الزمن، وهذا يستدعي انهاء الانقسام الجغرافي وتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية وحماية المشروع الوطني ورسم استراتيجية وطنية وكفاحية تبدأ بتطبيق قرارات المجلس المركزي الأخير في آذار 2015 وسائر الاتفاقات الوطنية السابقة، دون تردّد، وتتويج ذلك بعقد المجلس الوطني الفلسطيني بمشاركة مكوّنات وأطياف شعبنا الوطنية والسياسية والاجتماعية والنقابية، والكفاءات الوطنية، وضخّ الدماء في عروق المجتمع الفلسطيني وحماية الانتفاضة وتطويرها وتعميق طابعها الشعبي وفاعلياتها الكفاحية وديمومتها، بما يؤلم الاحتلال على كافة المستويات.

انّ الجيل الفلسطيني الذي كان ولازال عنوان العطاء، وهو الذي يواجه الاحتلال الصهيوني في انتفاضة القدس، حيث يقف بكلّ شموخ وشجاعة مع أطياف الشعب الفلسطيني برغم كلّ الألوان والرايات، إلا أنّ الانتماء هو الحافز الوحيد لوقفة شابات وشباب فلسطين، حيث يسجلون صفحات من نار ونور، وهم يستكملون المسيرة رغم كلّ التحدّيات والصعوبات.

الانتفاضة الأولى التي حرّكت الشعب الفلسطيني من أطفال وشباب ورجال ونساء، كانت انتفاضة شعبية بامتياز، ونادراً ما عرف التاريخ البشري شبيهاً لها، كان من الممكن لهذه الانتفاضة الشعبية أن تتطوّر لكي تصبح عصياناً مدنياً شاملاً ومن ثم لثورة شعبية قادرة على تغيير الواقع السياسي في المنطقة.

لقد غزت الانتفاضة الراهنة لغات العالم وقواميسها وأصبحت تستعمل بلفظها العربي في جميع أرجاء العالم، أصبحت الكلمة السحرية التي تعبّر عن صرخة جميع المضطهدين بغضّ النظر عن انتماءاتهم. ومن ناحية أخرى أصبحت تهمة تدمغها الأنظمة، لمحو الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني.

ونحن اليوم نقف في الذكرى الثامنة والعشرين للانتفاضة الشعبية الفلسطينية الأولى، وبعد تقديم أسمى آيات الوفاء والإخلاص للشهداء، حيث كنا نرى أنّ هذه الانتفاضة ستبقى متصاعدة إلى ثورة شاملة، ولكن للأسف شكل اتفاق أوسلو العائق الكبير الذي ادّى لى وقف الانتفاضة، ورغم اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية في أيلول 2000، تلك الانتفاضة التي استباح فيها الارهابي شارون كلّ الأرض الفلسطينية وداست دباباته اتفاق أوسلو وأزالت المسافات والفروق بين مناطق (الف وباء وجيم) وحوصر الرئيس الشهيد الرمز أبو عمار في المقاطعة برام الله حتى تمّت تصفيته بالسم، وهو الرئيس الذي حرّض عليه شارون والمحافظين الجدد في واشنطن بأنه لا يريد السلام وداعم «للإرهاب» أيّ المقاومة، كما ادّعى الإرهابي شارون على جبهة التحرير الفلسطينية وأمينها العام الشهيد القائد ابو العباس وحاولوا تسطيح الأمور وتشويهها بأنه بمغادرة الرئيس الشهيد ابو عمار والقادة الشهداء الكبار ابو العباس وابو علي مصطفى والشيخ احمد ياسين سيعمّ السلام وينتهي الإرهاب، وهذا ما لعبته حكومة الاحتلال بمختلف ألوان طيفها السياسي من يمين ويسار والعازفة على نفس الوتر واللحن، لتدهش من كان متمسكاً بالسلام بأنّ هذا العدو لا يريد السلام ويجيد المماطلة والتسويف، وهو مستمرّ بسياسته القائمة على الاستيطان ويرفع لاءاتها لا عودة لحدود الرابع من حزيران والقدس عاصمة أبدية «لإسرائيل» ولا عودة للاجئين.

ومن هنا أدرك الشباب الفلسطيني الذي يعاني ويلات الاحتلال الذي يزداد توغلاً وتوحشاً، ويشنّ حرباً شاملة على الشعب الفلسطيني على امتداد جغرافيا فلسطين، لم يسلم منها لا شعبنا في فلسطين التاريخية عام 1948 ولا في الضفة الفلسطينية ولا في القدس ولا في قطاع غزة، ورغم ما يجري في المنطقة والظروف الإقليمية والدولية المحيطة بفلسطين، وانسداد الأفق أمام التسويات والحلول، الاانزول الى الشارع بعد جريمة حرق محمد ابو خضير وعائلة دوابشة وتصفية واعتقال الشباب على الحواجز للإمساك بزمام المقاومة والكفاح والانتفاضة الشعبية، رغم حالة الانقسام الفلسطيني، فهو توحّد تحت راية وعلم فلسطين في هبّة وانتفاضة ثورية جديدة «ثورة الدهس والسكين والحجر والمقلاع»، حيث يواجه بصدوره العارية رصاص جنود الاحتلال وغازهم السامّ، ويتصدّى للاحتلال متسلحاً بحجارته التي لم يعهدها العالم أجمع، ولم تشهده ثوراته على مدى التاريخ الطويل واضعين نصب أعينهم هدفاً واحداً يتلخص في دحر الاحتلال والاستيطان واستعادة كلّ فلسطين وعودة الحقوق المشروعة التي سلبها الاحتلال منهم وفي مقدّمتها حق العودة، وها هم شباب وفتيات فلسطين يقدّمون أرواحهم قرباناً على مذبح الحرية والفداء والدفاع عن المقدّسات الاسلامية والمسيحية وفي مقدّمتها المسجد الاقصى.

من هنا تبدأ الحكاية ولكن فصولها لما تنته بعد، لأنها حلقة من مسلسل طويل حافل بالثورات والانتفاضات التي لقنت الاحتلال درساً في فنون التضحية والفداء، شعب يخضع للاحتلال من حقه ممارسة كافة أشكال المقاومة والمواجهة، فالمقاومة الشعبيه بكافة أشكالها خيار لا يمكن ولا يجوز التفريط به طالما بقي الاحتلال جاثماً على صدور الشعب الفلسطيني الذي نال الاعتراف بدولته الفلسطينية المستقلة كعضو مراقب في الأمم المتحدة، ومن هنا تصبح المقاومة والمواجهة حق له وهي أنجع وسيلة في دحر الاحتلال كما أثبتت التجربة التي خاضتها المقاومة في لبنان والثورات على امتداد العالم، وهذه المقاومة حق للشعب المحتلة أرضه، حق كفلته المواثيق والأعراف الدولية حتى الإقرار بحقوق الشعب الفلسطيني وثوابته المشروعة.

لهذا نرى انّ من حق الشعب الفلسطيني مواصلة انتفاضته الثالثة التي حملت معها أساليب وإبداعات جديدة، بدءاً مما يمكن تسميته بـ«حرب السكاكين» وحتى عمليات الطعن والصدم والدهس، التي وجدت قبولاً وتشجيعاً فلسطينياً عارما، وهي مرشحة لأن تحمل المزيد من هذه الإبداعات التي أسقطت كلّ إجراءات الاحتلال القمعية وقوانينه الإرهابية المشدّدة، ما أوقع قادة الاحتلال في حالة من الارتباك والتخبّط ادّت الى انهيار حكومة الاحتلال، نتيجة هذا الصمود الاسطوري للشعب الفلسطيني الصامد في غزة والقدس والضفة الفلسطينية والأراضي المحتلة عام 1948.

من هنا نقول إنّ على الجميع ان يتوحد خلف النهج الثوري حيث يسكن الوطن وتتجلى الثورة في روح شباب فلسطين الذي طالما قال العدو عنهم إنهم الصغار الذين سينسون، وها قد كبر هؤلاء الصغار، وما زالت فلسطين نبضاً لا يتوقف بين ثنايا القلوب العامرة بالإيمان نهو التحرير والانتصار.

ختاماً: إنّ انتفاضة الشعب الفلسطيني تسطر أروع ملاحم المواجهة وببسالة قلّ نظيرها فهي تؤشر أنّ النازية والسادية والعنصرية لا مكان لهم في فلسطين، وسينتهي نظام الأبارتايد والتمييز العنصري، وآلة القتل الصهيونية وايديولوجية المستوطنين وحاخاماتهم، كما انتهى النازيون والعنصريون إلى مزبلة التاريخ، لهذا نرفع الصوت من أجل دعم الانتفاضة من كافة القوى والاحزاب العربية ودعم صمود الشعب الفلسطيني وهذه خطوة مهمة على طريق تحرير الأرض والإنسان وإنجاز الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس.

*كاتب سياسي